﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحجرات: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

عـلـمُ الـلـه لا يعتريهِ ظنٌّ ولا شكٌّ

لَمّا نفَى عنهم ما هو باطنٌ، وختمَ جدالَهم سبحانَهُ بهذهِ الشَّرطيَّةِ: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، فكانَ ربَّما توهَّمَ قاصرُ النَّظرِ عدمَ العلمِ بما هو عليهِ؛ أزالَ ذلكَ على وجهٍ عامٍّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غَيۡبَ﴾: (غيب) أصلٌ يدلُّ على تستُّرِ الشَّيءِ عن العُيونِ[2]، ومِن ذلكَ يقالُ: غابتِ الشَّمسُ، أي: استترَت عن العينِ، وغابَ عنّي كذا، فهو غائبٌ، واستُعمِلَ في كلِّ غائبٍ عن الحاسَّةِ، وعمّا يغيبُ عن علمِ الإنسانِ[3]، والمرادُ بالغيبِ هنا: الأمرُ الخفيُّ الَّذي لا تقتضيهِ بديهةُ العقلِ، ولا يُدرِكُهُ الحسُّ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـلـه يـعـلـمُ الـصّـادقَ في إيـمـانـه مِـنَ الكاذبِ

يقولُ تعالى: إنَّ اللّه لا يخفَى عليهِ شيءٌ في السَّماواتِ والأرضِ، وهو بصيرٌ بأعمالِكم الَّتي تعملونَها، فيعلمُ الصّادقَ منكم في إيمانه مِنَ الكاذبِ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الفصلِ في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

تذييلٌ يُقرِّرُ عِلْمَ الله بما عليه كلُّ إنسانٍ

فُصِلَ قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عمّا قبله؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 393 - 394.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غيب).
(3) الراغب، المفردات: (غيب).
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 155.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 319 - 322، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 148.

لأنَّهُ استئنافٌ ابتدائيٌّ تذييليٌّ[1] لِما قبلَه، فقد ذُيِّل تقويمُهم على الحقِّ بهذا التَّذييلِ؛ ليعلموا أنَّ اللهَ لا يُكْتَم، وأنَّه لا يكذبُ؛ لأنَّه يعلم كلَّ غائبةٍ في السَّماء والأرض، فإنَّهم كانوا في الجاهليَّة لا تخطُر ببالِ كثيرٍ منهم أصولُ الصِّفاتِ الإلهيَّة[2]، ﴿وَٱللَّـهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، وذلكَ ليعلموا أنَّ اللهَ لا يُكتَمُ شيئًا؛ لأنَّهُ يعلمُ كلَّ غائبةٍ في السَّماءِ والأرضِ[3].

نكتةُ تأكيدِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

الكذبُ على رسولِ الله كذبٌ على الله

أُكِّدَ قولُهُ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾، واسميَّةِ الجملةِ؛ للمبالغةِ في تحقُّقِ مضمونه، أو العنايةِ بمضمونه[4]، ولأنَّهم بحالِ مَن يُنكِرُ أنَّ اللهَ يعلمُ الغيبَ، فكذبوا على النَّبيِّ ﷺ مع علمِهم أنَّهُ مُرسَلٌ مِنَ اللهِ، فكانَ كذبُهم عليهِ مِثلَ الكذبِ على اللهِ[5]، ولأنَّ قاصِرَ النَّظرِ جامِدَ الفِكرِ ربَّما توهَّمَ عدمَ العِلمِ بما هوَ عليهِ[6].

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالة:

ذو الكمالاتِ المطلقةِ لا يُكذبُ عليه

التَّعبيرُ باسمِ الجلالةِ في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ لتربيةِ المهابةِ[7]؛ لأنَّهُ تعالى محيطٌ بكلِّ شيءٍ قدرةً وعلمًا[8]، فلا يُكذَبُ عليهِ.

غرضُ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ الفعليِّ:

لا يعلمُ غيبَ السَّماواتِ والأرضِ إلَّا اللهُ

تقديمُ المسندِ إليهِ على الخبرِ الفعليِّ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ للحَصْرِ والقَصْرِ[9]، فلا يعلمُ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 320.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 271.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 271.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 155.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 271.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 242.
(7) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 155.
(8) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 394.
(9) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 155.

غيبَ السَّماواتِ والأرضِ إلّا اللّه ﷻ، وفيه توكيدُ الحُكْم، مِن جهة تكرارِ المسند إليه مرَّتيْن، وجهةِ تشوُّف المُتلقّي لمعرفة الخبر عند تلقّي المسند إليه، فيتمكَّن المعنى في نفْسِه، وهذا التَّوكيدُ ناظِرٌ إلى كونِ الأعرابِ في حكم الشّاكِّ في الحكم أو المُنكِر له.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَعْلَمُ﴾:

كـلُّ معلومٍ مشمولٌ بعلمِ الله

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ العلمِ وتجدُّده؛ باعتبارِ تجدُّدِ متعلَّقاتِ العلمِ واستمرارِها، لا باعتبارِ ذاتِ صفةِ العلم[1]؛ إذ صفاتُ اللّه تعالى منزَّهةٌ عن التَّجدُّدِ، وفي هذا مِن التَّرهيب والتَّهديدِ ما فيه.

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدرِ: ﴿غَيْبَ﴾:

علمُ اللهِ بالخفايا حاصلٌ، وإنِ اشتدَّ خفاؤُها

عُبِّرَ بالمصدرِ ﴿غَيْبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عمّا غابَ، وخفيَ في السَّماواتِ والأرضِ؛ للمبالغةِ في تقرير العِلْم بكلِّ شيء[2]، حتَّى كأنَّ ما خَفيَ فيهما عينُ الغيبِ، ومع ذلكَ هو لا يخفَى على اللّه تعالى.

غرضُ الإضافةِ في ﴿غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

الغيبُ الَّذي يعلمُه اللهُ عظيمٌ

الإضافةُ في قوله ﷻ: ﴿غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لإفادةِ العُموم، فالمضافُ يكتسبُه مِن المضافِ إليه، فتفيدُ أنَّ جميعَ ما غابَ في السَّماواتِ والأرضِ معلومٌ للّه تعالى.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

اللهُ عالمُ الغيبِ والشَّهادةِ

جملةُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ معطوفةٌ على جملةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، عطْفَ الأخصِّ على الأعمِّ؛ لأنَّهُ لمّا ذكرَ أنَّهُ يعلمُ الغيبَ، وكانَ شأنُ الغائبِ ألّا يُرى؛ عطفَ عليهِ علمَهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 394.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 155.

بالمبصَرات؛ احتراسًا مِن أن يتوهَّموا أنَّ الله يعلمُ خفايا النُّفوسِ، ولا يعلمُ المشاهَدات[1].

علَّةُ التَّعبير بـ: ﴿بَصِيرٌ﴾:

المبصَرات لا تخفَى على الله

أوثِرَت صفةُ: ﴿بَصِيرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ لمناسبته للاحتراسِ المذكورِ، وهو دفْعُ توهُّم كونه تعالى يعلمُ الخفايا دونَ المبصَرات المشاهَدات[2].

معنى الباءِ ودلالة التَّعبير بها في ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾:

توكيدُ معنَى الجملةِ للإبلاغ في التَّهديد

الباءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ لتعديةِ ﴿بَصِيرٌ﴾ إلى مفعوله، والباءُ لا يكادُ يُفارِقُها معنَى الإلصاقِ، فتدلُّ على غايةِ تمكُّنِ هذهِ الصِّفة لله تعالى مِن أعمالِ العبادِ، فهي تُؤكِّدُ مضمونَ الجملة، وتُحقِّقُها، فيشتدُّ بها تهديدُ الأعرابِ وغيرِهم وترهيبُهم.

نوع (ما) في ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

الخفيُّ والظّاهرُ في التَّعلُّقِ بعِلْمِ الله سواءٌ

كلمةُ: (ما) في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ إمّا موصولةٌ، أي: بالَّذي تعملونَهُ، أو مصدريَّةٌ، أي: بعملِكم، وأيًّا ما كانَ؛ فالكلامُ يفيدُ شمولَ إحاطته تعالى بكلِّ أعمالِهم، والأعلى الحَملُ على الموصوليَّةِ، فكلُّ ما يكونُ من النّاس مِن أعمالٍ ظاهرةٍ أو باطنةٍ هو في حكم المعلوم الواضحِ المشهور بالنِّسبة لله تعالى، فسواءٌ عنده مَن أسرَّ القولَ، ومَن جهَر به، وهذا هو الأبلغُ في التَّرهيب والتَّهديدِ، وحثٍّ مِثل الأعرابِ على ما يُرْضيه سبحانه.

نكتةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿تَعۡمَلُونَ﴾:

جَلَّ الله تعالى عن أن يَشْغَلَه شيءٌ عن شيءٍ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ العملِ وتجدُّده، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّهُ كلَّما تجدَّدَ منهم عملٌ؛ كانَ تحتَ سلطانِ علمِ الله تعالى وبصره، فهو سبحانَهُ لا يشغلُهُ شيءٌ عن شيءٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 271.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 271.

توجيهُ القراءاتِ في قولِه: ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

تنوُّعُ القراءاتِ بينَ الغيبةِ والخطابِ

قرأ ابنُ كثيرٍ قولَه تعالى بالياءِ التَّحتانيَّةِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وقرأ الباقونَ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتّاءِ[1]، أمّا الأولى؛ فهي التفاتٌ مِنَ الخطابِ إلى الغَيْبةِ المفيدةِ للإعراضِ عنهم، وأمّا الثّانيةُ؛ فهي على الخطابِ المناسبِ لِما سبقَ[2]، ففي الخطابِ إقامةٌ للحُجَّةِ عليهم، وفي الغَيْبة انصرافٌ عنهم وعيدًا وتهديدًا؛ ليقوموا في مقامِ الخشية مِن اللّه، فذلك هو الأبرُّ بحالهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلمُ والشُّعورُ:

علمُ اللهِ تعالى يقينيٌّ

العلمُ: هو اعتقادُ الشَّيءِ على ما هو بهِ على سبيلِ الثِّقةِ، والشُّعورُ هو ابتداءُ العلمِ بالشَّيءِ مِن جهةِ المشاعرِ، وهي الحواسُّ؛ ولذلكَ لا يوصَفُ تعالى بأنَّهُ شاعرٌ، ولا بأنَّهُ يَشْعُرُ، وإنَّما يوصَفُ بأنَّهُ عالمٌ، وبأنَّهُ يعلمُ[3]، وقد اختيرَ العِلْمُ هنا؛ لأنَّ علمَهُ سبحانَهُ يقينيٌّ، لا يتطرَّقُ إليهِ احتمالٌ.

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 376.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 154.
(3) معجم الفروق اللغوية، ص: 372 - 374.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"